## الدرس الثاني :

# كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم

روى الشيخان ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله عزَّ وجل : كلُّ عمل ابن آدمَ له إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، والصيام جُنَّة ، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفُثْ ولا يصخب ، فإن سابَّه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم . والذي نفس محمد بيده ، لخُلُوف[1] فم الصائم ، أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرَحُهما : إذا أفطر فَرِح بفطره ، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه** »[2]

### إضافة تشريف وتكريم :

في هذا الحديث يروي لنا النبيُّ ﷺ عن ربه عزَّ وجل ، في الحديث القدسي أنه سبحانه يقول : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به » . هذه الإضافة من الله سبحانه وتعالى ، إضافة الصيام إلى ذاته تقدَّس وتعالى ، إضافة تشريف وتكريم ، كما يقال : بيت الله . للمسجد أو الكعبة ، وكل الأرض لله عز وجل . وكما يقال عن ناقة صالح : ناقة الله . وكل النُّوق وكل الأشياء إنما هي ملك لله عزَّ وجل .

---

(١) الخُلوف : بالضم بمعنى : تغيرُّ الفم هو المشهور الذي صرَّح به أئمة اللغة ، وحكى بعض الفقهاء والمحدثين فتحها ، واقتصر عليه الدَّميري في شرح المنهاج ، وأظنُّه غلطًا ، كما صرَّح به جماعة ، وقال آخرون : الفتح لغة رديئة ، والله أعلم . (تاج العروس : ٦/١٠٠) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١) ، كلاهما في الصيام ، كما رواه أحمد (٧٦٩٣) ، والنسائي (٢٢١٦) ، وابن ماجه (١٦٣٨) ، كلاهما في الصوم ، عن أبي هريرة .

## عبادة لم يُعبد بها غير الله :

فالإضافة للتشريف والتكريم ، وإنما كرَّم الله الصوم فنسبه إلى نفسه ، دون العبادات كلها ، لما لهذه الفريضة من خاصَّة لا توجد في غيرها .

هذه العبادة لم يُعبد بها غير الله سبحانه . . . كل العبادات قد عبدت بها الآلهة المزيَّفة ، والأصنام التي عبدها المشركون على مر العصور .

الصلاة ، كم جُعلت لغير الله ، فرُكع وسُجد لغير الله!

الدعاء ، كم دُعي غير الله!

القرابين ، والصدقات ، كم قُدمت لغير الله تعالى؟!

ولكنه لم يُعرف أنه قد صِيم لغير الله تعالى . هكذا قال العلماء . . .

وقالوا أيضًا : إنَّ في الصوم خصيصة لا توجد في غيره ، وهو أنه لا رياء فيه ، أي أن فعل الصوم لا رياء فيه ، حيث إنه مجرد إمساك وكفٌّ ، وامتناع .

والإمساك والامتناع لا يُرى ، فهو شيء سلبي ، لا يراه الناس ، ولهذا لا تدخل المراءاة في الصوم ، إلا إذا أَخبر الإنسان عن نفسه أنه صائم .

أما عمل الصوم نفسه ، فليس مما يُرى ومما يُحس .

## أجر الصائم :

فالصوم عبادة خالصة لله عز وجل ، فاستحق أن يُنسب إليه سبحانه ، ثم هناك أمر آخر ، وهو : ما في هذه العبادة من مشقَّة ، حيث يُجيع الإنسان بطنه ، ويُظمئ نفسه ، ويَدَع شهواته كلها لله سبحانه .

وهذا ما جاء في الحديث الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه وغيره : « كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله : إلا الصيام فهو لي ، وأنا أجزي به . يَدَع الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذته من أجلي ، ويدع زوجته من أجلي . . . »[1].

---

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧) ، وقال الأعظمي : صحيح ، عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٨) .

ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى ، هو الذي يتولَّى جزاء الصائمين بنفسه ، هو الذي يُعطيهم بيده ، والكريم إذا أخذ على نفسه أنه هو الذي يعطي فإنه يجزل ، ولا يدع ذلك لوكلائه ، ولا لخُزَّانه ، وإنما يتولَّى الأمر بنفسه ، وعطاء الله لا حدَّ له ، فهو أكرم الأكرمين ، والغني الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما . . .

## تفاوت جزاء الأعمال :

الأعمال تتفاوت في جزائها ، هناك عمل بعشرة أمثاله ، وهناك عمل بسبعمائة ضعف ، وهناك عمل بمثله ، وهناك عمل لا يَعلمُ جزاءَه إلا الله[1].

إنَّ الله قال في الصَّابرين : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) . فثواب الصبر ليس له حساب يُعلم من كثرته ، « والصوم نصف الصبر »[2]، ومن هنا كان جزاء الصائمين لا حد له[3].

## الصيام جُنَّة :

ثم يقول النبي ﷺ في تتَّمة هذا الحديث مُبيِّنًا نوع الصيام الذي يستحقُّ أن ينسب إلى الله ، وأن يكون جزاؤه غير محدود عند الله سبحانه ، فقال : « الصيام جُنَّة » .

والجُنَّة هي الدِّرع والتِّرس ، الذي يستتر به الإنسان في الحروب ، حتى لا تتناوشه السهام والنبال ، فهو يقي صدره ، ويحفظ نفسه بهذه الجُنَّة . كذلك

---

(١) فالمراد بقوله « وأنا أجزي به » : أني انفرد بعلم ثوابه وتضعيف حسناته .

(٢) رواه أحمد (٢٣٠٧٣) ، وقال محققوه : صحيح لغيره ، وهذا إسناد رجاله ثقات غير جري ابن كليب النهدي ، والترمذي في الدعوات (٣٥١٩) ، وقال : حديث حسن ، وعبد الرزاق في الجامع (٢٠٥٨٢) ، والدارمي في الطهارة (٦٥٤)، والبيهقي في الشعب باب محبة الله (٦٣١)، عن جري النهدي عن رجل من بني سُليم ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٠٩) .

(٣)ولابد من التنبيه إلى أن الصوم الذي هذا فضله وجزاؤه عند رب العالمين ، وهذا مقامُ صاحبه ، إنما هوم الصوم الخالصُ لله عز وجل ، السالم من شائبه المعاصي القولية والفعلية .

الصيام ، كما جاء في الحديث : « الصيام جُنَّة أحدكم من النار ، كجُنَّة أحدكم من القتال »[1]، وفي حديث آخر : « الصيام جُنَّة ، وحِصْن حصين من النار »[2].

فهو درع يقي صاحبه من الإثم والمعاصي في الدنيا ، ويقيه من النار في الآخرة وهذا ما لم يَخْرق هذه الجُنَّة . . . كما جاء في الحديث : « والصوم جُنَّة ما لم يخرقها »[3]، وفي رواية : « الصيام جُنَّة لأحدكم ، ما لم يخرقها » . قالوا : وبم يخرقها ، يا رسول الله؟ قال : « بكذب أو غِيبة »[4].

يخرق هذه الدرع بالغيبة ، بالكذب ، بالمعاصي التي تخدش الصيام ، وتجرحه وتزيل آثاره . . .

فلا يؤدي إلى التقوى ، التي هي ثمرة الصيام ، ورتَّبها الله عليه في كتابه حيث يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٧٣) ، وقال محققوه : حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل محمد ابن إسحاق ، والنسائي (٢٢٣٠) ، وابن ماجه (١٦٣٩) ، وابن خزيمة (١٨٩١) ، وابن حبان (٣٦٤٩) ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، أربعتهم في الصيام ، والطبراني في الكبير (٥١/٩) ، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي .

(٢) رواه أحمد (٩٢٢٥) ، وقال محققوه : صحيح وهذا إسناد حسن ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٧١) ، عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وإسناده حسن (٤١٨/٣) .

(٣) رواه أحمد (١٦٩٠) ، وقال محققوه : إسناده حسن ، والنسائي في الصيام (٢٢٣٣) ، والطيالسي (٢٢٧) ، وعبد الرزاق (٧٨٩٥) ، وابن أبي شيبة (٨٩٩٢) ، كلاهما في الصيام ، وأبو يعلى (١٨٠/٢)، وابن خزيمة في الصيام (١٩٤/٣)، والحاكم في معرفة الصحابة (٢٩٧/٣)، وسكت عنه هو والذهبي ، والبيهقي في الكبرى كتاب الجنائز (٣٧٤/٣)، عن أبي عبيدة بن الجراح ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، وفيه بشار بن أبي سيف ولم أرَ من وثقه ولا جرحه وبقية رجاله ثقات (٢٧/٣) .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥٣٦) ، عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الربيع بن بدر ، وهو ضعيف (٤٠٠/٣) ، وقال الألباني في ضعيف الجامع : ضعيف جداً (٣٥٧٩) .

## تأثير المعاصي على الصيام :

ومن هنا ذهبت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى أن مَن كذب أو اغتاب في صيامه ، فقد أفطر ، وعليه أن يعيد يومًا بدل هذا اليوم . وأخذ بهذا الإمامان : الأوزاعي والثوري (الأول إمام الشام ، والآخر إمام العراق) بأنه من كذب أو اغتاب فقد بطل صومه ، وعليه أن يقضي يومًا مكان اليوم ، كما جاء في الحديث الآخر : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامه وشرابه »[1]، أي لا قيمة لصومه عند الله عز وجل .

هذا هو قول هؤلاء الأئمة : عائشة وهذين الإمامين[2].

وقال جمهور الفقهاء : إنه ليس عليه أن يُعيد يومًا مكان هذا اليوم ، ولكنه حُرِم المثوبة والأجر . . . حُرِم أجر الصيام ، وما أخيب إنسانًا ، وما أضيعه حين يظل طول اليوم جوعان ظمآن ، ثم يأتي في النهاية ولا أجر له ، ولا ثواب له[3].

وهذا هو الخائب المحروم حقًّا .

## حفظ الصيام من الرفث والصخب :

ثم يقول النبيُّ ﷺ :« فإذا كان يومُ صومِ أحدكم ، فلا يرفُث ولا يصخَب ».

أي : عليه أن يحفظ صيامه من الرَّفث ، وهو الكلام في الأمور الجنسية ، وكل كلام قبيح .

« ولا يصخب » : أي لا يصيح ، ولا يرفع صوته على الناس! ليضبط أعصابه ، ليملك أمر نفسه ، ولا يجعل صومه شجارًا ، ويجعل يومه قتالاً مع الناس .

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣) ، وأحمد (٩٨٣٩) ، وأبو داود (٢٣٦٢) ، والترمذي (٧٠٧) ، وابن ماجه (١٦٨٩) ، ثلاثتهم في الصوم ، عن أبي هريرة .

(٢) انظر : فيض القدير (٤/٢٥٠) .

(٣) راجع ما ذكرناه في كتابنا : (فقه الصيام) صـ٨٦ ، وما ذكرناه في (فتاوى معاصرة) تحت عنوان : تأثير المعاصي على الصيام (١/٣٠٩) .

لا . . . فإنما جُعل الصوم لتربية الإرادة ، وتهذيب الأنفس .

## ادفع بالتي هي أحسن :

« فإنْ سابَّه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم . . . إني صائم » : أي لا ينبغي أن يقابل السيئة بالسيئة ، وإنما يقابل السيئة بالحسنة ، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت:٣٤،٣٥).

وإذا كان هذا في شأن الناس جميعًا ، فهو في شأن الصائم أجدر وأولى . . .

من هنا علمنا النبي ﷺ أن نقول إذا دافعنا إنسان ، أو شاتمنا ونحن صائمون . . . ألا نرد عليه الشتيمة بمثلها ، وأن نقول هذا القول : اللهم إني صائم . . . وليكرِّرها مرتين إن شاء .

هل يقولها بلسانه أم يقولها بقلبه؟ أم يقولها بلسانه وقلبه معًا؟ هذا هو الأولى : أن يقولها بقلبه ولسانه .

يقول ذلك لنفسه ، يخاطبها ، ويخاطب صاحبه أيضًا ، فيكفُّ بذلك خصمه ، ويكفُّ بذلك نفسه عن الاستجابة لداعي الغضب ، وإلى غريزة المقاتلة ، التي تجعل من الإنسان سبعًا ووحشا مفترسًا .

ولا يليق بالصائم أن يتشاجر ، وأن يتقاتل مع الآخرين ، وأن يستجيب للغضب والشهوة . فهذا هو الصيام المقبول ، وليس الذي يساب الناسُ ويشاتمهم بدعوى أنه صائم . كأنما شرع الله الصيام ليفسد الأخلاق !!

## خُلوف فم الصائم :

هذا هو الصائم الذي يقبله الله ، والذي حلف النبي ﷺ : أنَّ خُلوفه « أطيب عند الله من ريح المسك » .

وخلوفه . . هي رائحة فمه المتغيِّرة من ترك الطعام والشراب طول النهار ، هذه الرائحة التي قد يَنفِر منها بعض الناس ، هي أطيب عند الله من ريح المسك[1].

**للصائم فرحتان :**

ثم ختم النبي ﷺ الحديث ، بهذه البشارة للصائم : بالفرحتين اللتين جعلهما الله للصائم يفرحهما : فرحة في الدنيا ، وفرحة في الآخرة .

فأما الدنيا فهو « إذا أفطر فرح بفطره » : أي فرح بأنه عادت إليه الحرية في الأكل والشرب والتمتع بطيبات الحياة الدنيا ، فيزول جوعه وعطشه ، ويفرح أيضًا بأن الله وفَّقه لإتمام صوم يوم من الفريضة المفروضة عليه ، فهو فرح طبيعيٌّ ، وهو فرح دينيٌّ أيضًا[2].

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله ٤ : ١١٢ : «يجزيه الله في الآخرة حتى تكون نكهته أطيبَ من ريح المسك . . ، قبل : بل ينال صاحبها من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا . . ».
وهذه الأطيبيَّةُ لريح خُلوف الصائم حاصلة في الدنيا وفي الآخرة ، جمعًا بين أدلة الإمام العز ابن عبد السلام الذي رجَّح أنها في الآخرة ، وأدلة الإمام الصلاح الذي رجح أنها في الدنيا ، وإن كان قوله « .. عند الله يوم القيامة » يؤيد قول ابن عبد السلام .
وأجاب العلامة الفقيه ابن حجر الهيتمي في « إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام » ص٤١-٤٢ عن سبب هذه الرائحة الطيبة : « إن لكون الصيام سرًّا بينه وبين ربه في الدنيا ، فأحبَّ أن يظهره بإظهار أثره في الآخرة علانية للخلق ، ليشتهر فضل الصوَّم ، وتمتاز مراتبهم ، وجزاءً لإخفائهم صيامهم في الدنيا . . وقيل : إنه إشارة إلى أن من عَبَدَ الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل : ينشأ من عمله آثار مكروهة للمتقي في الدنيا ، وهي محبوبة لله وطيبة عنده ، فإخباره بذلك للعالمين في الدنيا في تطييب لقلوبهم .. ».

(٢) كما أن من دواعي فرح الصائم عند فطره : إجابةَ الله تعالى دعاءَه . روى الترمذي (٣٥٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا تردُّ دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعَزَّتي لأنصرنَّك ولو بعد حين » . هذا لفظ الترمذي « الصائم حين يفطر » ، أما لفظ الإمام أحمد ٢ : ٣٠٥ ، ٤٤٥ ، وابن ماجه (١٧٥٢) : « الصائم حتى يفطر » أي : إن دعاءه مستجاب ما دام صائمًا ، فإذا أفطر توقفت الخصوصية ، ولا تعارض ، إنما هي زيادة في الوقت الذي يستجاب فيه دعاء الصائم ، هل هو عند فطره فقط ، أو من أول صومه حين فطره . والله أعلم .

ثم تبقى الفرحة الكبرى يوم القيامة ، حيث يفرح إذا لقي ربه بصومه ، إذا جازاه الله ، الذي يقول : « الصوم لي وأنا أجزي به » . إذا نادته الملائكة فيمن تنادي : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (الحاقة: ٢٤). إذا فُتح له باب الريّان . . . الذي لا يدخل الجنة منه إلا الصائمون فإذا دخلوا أغلق . . . ولم يدخل منه أحد بعدهم[1].

* * *

(١) إشارة إلى الحديث : « إن في الجنة بابًا يقال له : الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون؟ فيقومون ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلن يدخل منه أحد »، متفق عليه : رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، كلاهما في الصوم ، كما رواه أحمد (٢٢٨١٨) ، والنسائي في الصيام (٢٢٣٦) ، عن سهل بن سعد .